مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العدد: 01 (2022)، ص 525-542

تحليل الخطاب وعلوم الاعلام والاتصال... تمفصل وتوجهات

Discourse analysis and media and communication sciences... Gear and trends

الدكتورة فطومة بن مكي[1] الدكتورة نسيمة مقبل[2]

[1] جامعة الجزائر03 – الجزائر

fettoumabenmekki@gmail.com

[2] جامعة الجزائر3 – الجزائر.

nassmekbel@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/11 تاريخ القبول: 2022/01/13 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص

يعتبر الاتصال نشاطا حيويا للإنسان، فهو يعيش في بيئة حافلة بالرسائل الاتصالية المختلفة التي تحيط به في حياته اليومية في مختلف المجالات، وإذا أدخلنا عنصر السياق (contexte) على تلك الرسائل نجدنا نتحدث عن تعرضه إلى جملة من الخطابات (وليس الرسائل فقط) التي تحاصره يوميا كخطابات الثقافية، الاجتماعية، السياسية، الإشهارية، والإعلامية .

نقدم في هذه الورقة البحثية التمفصل الموجود بين تحليل الخطاب كأحد المقاربات الفكرية المنهجية التي برزت في مجال العلوم الاجتماعية -لا سيما اللسانيات- منذ منتصف القرن العشرين من جهة، ومن جهة ثانية علوم الاعلام والاتصال التي تأخر لقاؤها بهذه الأفكار إلى غاية نهاية السبعينيات، مع تسليط الضوء على خصوصية الخطاب الإعلامي وإسهامه في بناء التمثلات الاجتماعية من خلال التحليل النقدي للخطاب .

الكلمات المفتاحية: الخطاب- الخطاب الإعلامي- تحليل الخطاب النقدي- بناء الواقع.

Abstract

Communication is a vital human activity. He lives in an environment full of different communicative messages that surround him in his daily life in various fields, such as cultural, social, political, advertising, and media discourses.

In this research paper, we present discourse analysis as one of the methodological intellectual approaches that have emerged in the field of social sciences - especially linguistics - since the mid-twentieth century, and its articulation with media and communication sciences which was delayed until the end of the seventies. We aim also to highlighting the particularity of the media discourse and its contribution to building social representations through critical analysis of the discourse.

Keywords: Discourse - media discourse - critical discourse analysis - construction of reality

---

المؤلف المرسل: فطومة بن مكي

1. مقدمة

نشأ تحليل الخطاب في أحضان اللسانيات التي تم اعتبارها ولمدة طويلة على أنها العلم الوحيد المختص بدراسة اللغة، فنجد "أن العلوم اللسانية هي أول من استعمل مفهوم الخطاب فكان حقلا من حقولها إلى أن تلقفه المعجم النقدي للعلوم الانسانية، فانزاح عن خصوصيته اللسانية– اللغوية وعرف توسعا في الاستعمال"(سلامي2015 ,) وفي نفس الاتجاه، يرى "دومينيك مانغونو" D.Maingueneau أن تحليل الخطاب هو ذلك التخصص الذي بدل أن يقدم على التحليل اللغوي للنص في ذاته أو على التحليل السوسيولوجي أو النفساني لمحتواه، يسعى إلى مفصلة articuler تلفظه (أي النص) مع موقع

اجتماعي بعينه، وهكذا، يجد تحليل الخطاب نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات الفضاء الاجتماعي.(Maingueneau, 1987, p23)

فالخطاب أداة ذات أهمية في "تكوين أفعال الجماعة وصناعة سلوكياتهم في ممارساتهم الاجتماعية". (مصدق، 2005، ص 78) في هذا السياق، ترى "ديان مكدونيل" أن الخطاب يشمل جميع العلامات الكلامية وغير الكلامية، وأية ممارسة رسمية أو أية تقنية يتحقق فيها وعبرها الانتاج الاجتماعي للمعنى" (ماكدونيل، 2001، ص 67)، فالخطاب يساهم في تشكيل الواقع وليس عكسه فقط، وهنا نلتمس التمفصل بين مفاهيم الخطاب وتحليل الخطاب والإعلام. إذ يقوم الخطاب الإعلامي بواسطة العلامات اللغوية والإيقونية بنقل الممارسة الاجتماعية -مظاهرها ومعانيها المختلفة- إلى الجمهور عن طريق وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية بما تشتمل عليه عملية النقل تلك من تصورات وتمثلات اجتماعية سياسية ثقافية وغيرها في عملية بناء للأحداث وبالتالي للمعاني الاجتماعية؛ وهذا ما دفع بالعديد من الباحثين إلى تصنيف الخطاب الإعلامي من بين الخطابات المتغلغلة في أعماق الحياة الاجتماعية المؤثرة فيها والمتأثرة بها من خلال نقلها وإنشائها للمعاني الاجتماعية؛ كل هذا في ظل تسجيل تأخر ملموس في التقارب بين تحليل الخطاب والإعلام.

انطلاقا مما سبق ذكره، نحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى:

- تقديم عام حول الخطاب وتحليله: من التصور البنيوي إلى مابعد البنيوية
- أسباب تأخر اللقاء بين تحليل الخطاب وعلوم الإعلام والاتصال
- الخطاب الإعلامي: من نقل الأحداث إلى بناء الواقع ...تحليل الخطاب النقدي أنموذجا

2. تقديم عام حول الخطاب وتحليله

تستخدم حسب نورمان فيركلاو (N.Fairclough) كلمة خطاب للإشارة إلى استخدام اللغة حديثا وكتابة وكل الأنواع الأخرى من النشاط العلاماتي مثل الصور المرئية، الصور الفوتوغرافية، الأفلام، الفيديو، الرسوم البيانية والاتصال غير الشفوي والتي يستخدمها طرف أول للتأثير على طرف ثان مع مراعاة الظروف المحيطة بإنتاج ذلك الخطاب وتلقيه. (فاركلوف، 2009، ص 96)

1.2 اتجاهات تعريف الخطاب:

من خلال الاطلاع على مجموعة من التعاريف المعطاة لمفهوم الخطاب، يمكننا إدراجها ضمن اتجاهات تعريفية مختلفة اهمها الاتجاه اللغوي اللساني، الاتجاه الاتصالي والاتجاه الاجتماعي.

- الاتجاه اللغوي اللساني الذي يرى في الخطاب مجموعة من الملفوظات اللغوية التي تفترض وجود خطيب ذو نية تأثير في مُخاطَب عبر تلك الملفوظات التي تشكل الخطاب. ويرجع فضل نشأة مفهوم الخطاب للباحثين في مجال دراسات اللغة والألسنية (علم اللغة الحديث) في القرن العشرين خاصة عالمي اللغة "بايسنس" (Buyssens) 1943 و"بنفنيست" (Benvenist) 1940 (شومان، 2007، ص 23). هذا الأخير الذي عرف الخطاب بأنه " كل تلفظ (Enoncé) يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما، فالخطاب يتجاوز الجملة (مشاقبة، 2014، ص 101)، وهذا ما يُعرف بـ "**لسانيات الخطاب**". ويركز الاتجاه اللغوي (اللساني) في تعريف الخطاب على مدلوله في فعل النطق أو المنطوق مفرقا بينه وبين اللغة واللسان مع الإبقاء على البعد التواصلي والإقناعي للخطاب. فنجد مثلا تعريف طه عبد الرحمن الذي يشير إلى أنه: "المنطوق به الذي يصلح أن يكون كلاما موجها إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا" (عبد الرحمان، 1998، ص 215).

وعليه، فالخطاب بالنسبة لاتجاه لسانيات الخطاب هو تفاعل يتجلى في المحادثات الّتي يسعى فيها أصحابها إلى التّنسيق بين مختلف ملفوظاتهم أثناء تحاورهم، ويشمل هذا النّمط الخطابي كلّ ما يصدر عن المتكلم من خطاب، أحضر المستمع فيه أو لم يحضر، كالمحاضرات، والخطابات والسّياسة...ولا يكون الخطاب خطابا إلاّ إذا تبنته هيئة تشكل محور المعالم الزّمانية، والمكانية والشخصية، وتشير إلى موقفها تجاه ما تقوله، أو أن تسند مسؤولية هذا الأخير إلى الغير. ومن بين ما يتضمنه هذا التوجّه، الدّراسات الّتي أجريت على العناصر الذاتية الكامنة في اللّغة. كما يخضع الخطاب لمجموعة من المعايير الاجتماعية والأخلاقية، تتكفل قوانين الخطاب بتبيانها، فالأفعال الكلامية كالأمر والوعد والنهي... لا يمكن لها أن تصدر دون الخضوع لمعايير حدّدتها الأخلاق والقيم الاجتماعية والثقافية والدينية. أخيرا، لا يؤول الخطاب إلاّ بإدراجه في خطابات أخرى، فلكل نوع خطابي أسلوبه في التّكفل بتسيير مختلف العلاقات التّخاطبية. إنّ تأويل أي خطاب من أي نوع كان، يقتضي ربطه أو مقابلته بخطابات لأنواع خطابية أخرى.

- الاتجاه الاتصالي الذي يعتبر الخطاب كل أشكال التعبير الإشاراتي أو العلاماتي التي يتم من خلالها الاتصال بالآخر، تصدر من مرسل إلى مستقبل وعادة ما تكون بصيغة ألفاظ أو بصيغة إيماءات، إشارات، حركات أو أصوات يهدف من ورائها المرسل إخبار أو تبليغ المستقبل بشيء ما أو بحدث ما أو بخبر ما وكذلك إقناعه بوجهة نظر معينة. (شمال، 2006، ص 11) .من المنظور الاعلامي، الخطاب هو" الرسالة من حيث موضوعاتها وعناصرها وكافة مكوناتها الظاهرة والمستترة بما تنطوي عليه من معان ودلالات وأهداف في سياقها الزمني والمؤسسي والمجتمعي (بركات، 2012، ص 302).

- الاتجاه الاجتماعي لتعريف الخطاب الذي ينظر إليه على أنه طريقة معينة للتحدث عن الواقع وفهمه، كما يُعتبر الخطاب في هذا الاتجاه مجموعة من

النصوص والممارسات الخاصة بإنتاج النصوص وانتشارها واستقبالها مما يؤدي إلى فهم الواقع الاجتماعي. فالخطاب أداة ذات أهمية في "تكوين أفعال الجماعة وصناعة سلوكيات في ممارساتهم الاجتماعية، والخطاب كفعل (Act) يعني أنه يتحقق في زمن معلوم، فهو ليس خارج الزمن و المكان". (مصدق، 2005، ص 78) في هذا السياق، ترى "ديان ماكدونيل" أن الخطاب يشمل جميع العلامات الكلامية وغير الكلامية ، وأية ممارسة رسمية أو أية تقنية يتحقق فيها وعبرها الانتاج الاجتماعي للمعنى" (ماكدونيل، 2001، ص 67). وفي المعنى العام، يدل الخطاب على كل تلفظ يحتوي داخل بنياته الباث والمتلقي مع رغبة الأول في التأثير على الآخر، وهو بالتالي أشمل من الرسالة (شومان، 2007، ص 23).

2.2 الأبعاد المعرفية في تعريف الخطاب:

لقد تعددت التعريفات التي قدمت للخطاب بتعدد التوجهات النظرية وأهداف التحليل، لكن يمكن تصنيفها عموما حسب "شفرن" إلى ثلاثة أصناف (العربي، 2010، ص: 35-38):

-**النموذج أو البراديغم الصوري** الذي يركز على اعتبار الخطاب وحدة متلاحمة تتألف من أكثر من جملة، وتجمع المقاربات الصورية للخطاب بين خاصيتين اثنتين:

- التركيز على صورة الخطاب بمعنى شكله، على اعتبار أن ما يميزه هو توفره على **بنية structure** تعكس نموذجا ترد وتتوارد وفقه مقاطع الخطاب في علاقاتها ببعضها البعض.

- عدم الاستناد إلى معطيات خارجة عن هذه البنية من قبل المتخاطبين والسياق والمعنى، حيث إن هذه المقاربة البنيوية تهتم بمختلف التعالقات القائمة بين مختلف الوحدات وتغفل النظر إلى العلاقات الوظيفية التي يقيمها الخطاب مع سياق إنتاجه.

ويعد هاريس عام 1952 أول من اهتم بالخطاب في إطار النموذج الصوري من خلال تطبيق المبادئ التوزيعية على الخطاب.

- **النموذج /البراديغم الوظيفي** الذي يربط اللغة بالاستعمال language in use، أي على الوظيفة التي يؤديها الخطاب. لذلك يربط النموذج الوظيفي الخطاب بسياق استعماله إذ ينظر إليه كنسق (طريقة تحدث منظمة اجتماعيا وثقافيا) تحقق عبره وظائف خاصة. وعلى الرغم من اشتمال النموذج الوظيفي على إطرادات صورية/بنيوية فإنه يتجاوز الأساس البنيوي لمثل هذه الإطرادات ليهتم بالأخص بكيفية توظيف نماذج التكلم لتحقيق أغراض محددة في سياقات محددة، وبالتالي تفسر هذه الإطرادات الصورية/البنيوية بكونها تابعة للاستراتيجيات التواصلية.

- **النموذج التلفظي**: وهو نموذج يزاوج بين النموذجين السابقين من خلال ربطه الخطاب بالتلفظ وذلك لكون التلفظات Enonciations هي وحدات الإنتاج اللغوي سواء كانت مكتوبة او منطوقة وهي بالضرورة مرتبطة بالسياق، وهذا ما يجعل التلفظ معارضا للفظ (énonciation contre énoncé) معارضة الفعل للنتيجة المترتبة عنه. وكان من نتائج ربط الخطاب بالتلفظ تحقيق اهداف متعددة منها ما يتعلق بالبعد التركيبي ومنها ما يتعلق بالبعدين الدلالي والتداولي. وبالتالي جمع هذا التصور بين الإلحاح الوظيفي على الاستعمال اللغوي والإلحاح الصوري/البنيوي على النماذج الموسعة، إذ تتضمن دراسة التلفظ الأخذ بعين الاعتبار جملة من العوامل المرتبطة بالمقام التواصلي كالمشاركين وزمن ومكان التلفظ وعموما كل عنصر يمكن عده ملائما في إجراء التلفظ. وتنتهي سلس مورسيا إلى تعريف يمكننا اعتباره تعريفا شاملا للخطاب يؤالف بين البعد البنيوي والوظيفي يتحدد في اعتباره: نموذجا لغويا مكتوبا أو منطوقا يمتلك تعالقات داخلية قابلة للوصف من حيث الشكل والمعنى، وهو يرتبط بشكل متلاحم مع

وظيفة تواصلية خارجية، لا تتحدد هذه الأخيرة إلا بالأخذ بعين الاعتبار السياق والمشاركين أي كل العوامل الثقافية والاجتماعية الملائمة. فربط الخطاب بالسياق يُمَكّن من تحليل الخصائص الصورية والتوزيعية (أي البنيوية) كما يُمَكّن من تحليل المعنى واستعمالاته انطلاقا من التركيز على المعلومات السياقية الملائمة (Mauricia-Celce, 2002, p 122).

بناءً على ما سبق، تتلخص مميزات الخطاب في العناصر التالية:

- أنه متحرك ومتغير
- له جمهور وهدف وقصد معين
- يتشكل من مجموعة من النصوص والممارسات الاجتماعية. (مشاقبة، 2014، ص 112)

3.2 تحليل الخطاب: من التصور البنيوي إلى مابعد البنيوية

يعد تحليل الخطاب مقاربة متعددة التخصصات Multidisciplinaire نشأت في أحضان علم اللغة (اللسانيات) وتطورت في أوربا وتحديدا فرنسا، بريطانيا وألمانيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية منذ الستينيات من القرن العشرين، معتمدة على مفاهيم تمت استعارتها من تخصصات متعددة كعلم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات وعلوم الاتصال والفلسفة والتاريخ...وهذا ما يؤكده "باتريك شارودو" Patrick Charaudeau في كتابه معجم تحليل الخطاب، فتحليل الخطاب تخصص جديد ظهر في الستينيات وهو موجود في مركز مجمل العلوم الاجتماعية والإنسانية وموضوعه هو الخطاب.

كما أسلفنا الذكر، من أهم مميزات الخطاب بشكل عام انفتاحه وقفزه فوق النصوص ليشملها وكذا مساهمته في تشكيل الواقع وليس عكسه فقط،"فلا يتأتى إدراك الخطاب بالنظر إليه كنظام مغلق من العلامات أو نسق مكتنف بذاته كما تتصوره البنيوية، بل إن معانيه ودلالاته لا تتكون إلا في سياق الالتقاء عبر

الخطاب بين منتجيه بموقعهم الاجتماعي والمتلقي بحمولته الثقافية وأصوله السوسيو-مهنية . كما أن الخطاب لا يميل إلى تمثيل الواقع بحيث يعني ويدل بقدر ما يشارك في حركية هذا الواقع وتحويله" (فاوبار، 2006، ص 69). بعبارة أخرى، فالخطاب كنشاط لغوي مموقع اجتماعيا ،لأنه يمثل العبور من اللغوي إلى الاجتماعي ومن الاجتماعي إلى اللغوي في الوقت ذاته. وقد عرفت علوم الاعلام والاتصال من حيث البحوث أو الإشكاليات أو النظريات الخاصة بهذا الحقل المعرفي علاقة وطيدة بعلوم اللغة واللسانيات

3. أسباب تأخر اللقاء بين علوم الإعلام والاتصال وتحليل الخطاب

تم إدراج مفهوم تحليل الخطاب من طرف عالم اللسانيات التوزيعية Z.S Harris (1909-1992) في مقال عنوانه تحليل الخطاب عام 1952 حيث يشير المفهوم إلى وحدة لغوية تتشكل من جمل أي نص وبما ان هاريس كان يشتغل ضمن منظور بنيوي فقد استعمل كلمة "تحليل" بمعنى التفكيك. وكان عمله، الذي يندرج اليوم ضمن لسانيات النص، يهدف إلى تحليل بنية النص بالاعتماد على تواتر (تكرار) بعض عناصره وبالتحديد الضمائر وبعض مجموعات الكلمات. وعليه، يتشابه موقف هاريس إلى حد بعيد وجهة النظر البنيوية الأدبية الفرنسية لسنوات الستينيات والتي كانت تعتقد بضرورة البدء بتحليل محايث للنص، ثم القيام بموافقة البنية التي تم استنباطها بواقع اجتماعي تاريخي خارج النص (Maingueneau, Discours et analyse de discours, 2014, p .10)

إن ما يجمع ما بين تحليل الخطاب والدراسات الإعلامية والاتصالية عموما هو أكثر من صلة ووشيجة على حد تعبير الباحثة صفاء جبارة، فكلاهما حقل بحث واسع متمازج المعارف، وكلاهما ينشغل ببحث محتوى الاتصال الإنساني ونصوصه، وعلى الرغم من ذلك ظلت ثمة هوة واضحة تفصل بين هذين الحقلين

البحثيين قام كثير من جهود الباحثين المعاصرين بمحاولة ردمها خاصة في ظل انزياح العلوم الاجتماعية عموما تحت ثنائية قطبية توزع من خلالها البحوث والدراسات إلى (جبارة، 2012، ص 9):

- القطب الوضعي Positivism ذو توجه منهجي إمبريقي كمي وقد ساد هذا البراديغم في مجال الدراسات الإنسانية منذ الخمسينيات من القرن العشرين حتى ما بعدها

- القطب الكيفي Qualitatif ذو توجه منهجي نوعي وهو ما يعرف أيضا بالنموذج المعرفي التأويلي والذي يندرج تحليل الخطاب ضمنه، حيث يروم تحليل الخطاب إعادة النظر في النموذج الوضعي الامبريقي المهيمن الذي سيطر في مجال الدراسات الإنسانية منذ الخمسينيات

وعلى هذا الأساس، يمكمن إرجاع أهم الأسباب التي أدت إلى تأخر اللقاء بين علوم الإعلام والاتصال وتحليل الخطاب إلى العوامل التالية:

- طغيان البراديغم الكمي على الدراسات الإعلامية خاصة مع الانتشار الكبير لنظريات تأثير وسائل الاعلام على الجمهور والتي لم تخرج عن نطاق الدراسات الكمية سواء بتوظيفها لأداة تحليل المضمون لدراسة المحتويات او الاستمارة لقياس درجات التأثير.

- نشوء تحليل الخطاب في أحضان اللسانيات أخر من اللقاء بين التخصصين مع العلم أن علوم الاعلام والاتصال قد ارتبطت منذ نشأتها بمجالات علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة كون الآباء المؤسسين لهذه العلوم من هذه التخصصات من جهة، وكون منبت العلوم في الولايات المتحدة الأمريكية مما أدى إلى طغيان البراديغم الوظيفي ذو الصبغة الكمية والوضعية على الدراسات الإعلامية والاتصالية.

- إشكالية مناهج وأدوات تحليل الخطاب وقابليتها للتطبيق في مجال علوم الاعلام والاتصال .

- تحليل الخطاب الإعلامي هو استراتيجية إلى جانب استراتيجيات أخرى في التحليل الاجتماعي لما لوسائل الاعلام والاتصال من مكانة مركزية في الأنظمة الاجتماعية الحديثة، بل إن لها مركز الصدارة في كل ما يحدث من تغير في المشهد الاجتماعي والثقافي.

- دراسة تحليل الخطاب دراسة لسانية وخطابية

- اعتبار إنتاجات وسائل الاعلام ضربا من ضروب التواصل الإنساني المقترن بتقنية الوسائط ، إذ أن ما يميز التواصل الوسائطي "اشتغاله ضمن تفاعل شامل للإنسان، المجتمع والثقافة ويغدو الخطاب الصحفي نسقا نصيا ينتظم تعبيره اللغوي وتدليله المنطقي في انسجام مع السياق الثقافي والمجتمعي العام" (العاقد، 2002، ص: 14-15).

لقد طرح دخول تحليل الخطاب حقل علوم الاعلام والاتصال إشكاليات عدة كانت السبب في تأخر اللقاء بين هذين التخصصين أهمها: الإشكال المتعلق بالخلفيات النظرية المتجذرة في كل تخصص على حدة والتي تباعدت إلى حد بعيد من حيث التصورات والأهداف والإشكالات البحثية وحتى الطرق والأساليب البحثية الموظفة:

إشكالا يتعلق بطبيعة الإشكاليات المطروحة في علوم الاعلام والاتصال والتي كانت تميل إلى اعتبار الخطاب الإعلامي والاتصالي كنصوص مغلقة على ذاتها

تحفظ محللي الخطاب (نظرا لخلفيتهم النقدية خاصة فيما يتعلق بالدراسات الإعلامية الأمريكية السائدة Mass communication research وأهدافها الأيديولوجية المرتبطة بمصالح أصحاب النفوذ ورؤوس الأموال لإحكام السيطرة والهيمنة على الجماهير.

إشكالا يتعلق بالطرق والأساليب البحثية والأدوات المنهجية التي يقترحها تحليل الخطاب والتي بقيت بعيدة نوعا ما عن تقاليد البحث الإعلامي المتعارف عليها .

إشكالا يتعلق بطبيعة المعاينة وتقريب التصور بين مفهومي العينة كما هو شائع في البحوث الإعلامية والمدونات الموظفة في تحليل الخطاب.

4. الخطاب الإعلامي من نقل الوقائع إلى بناء التمثلات ... التحليل النقدي للخطاب أنموذجا

الخطاب في أي مجتمع هو الممارسة الاجتماعية، ويقوم الخطاب الإعلامي بنقل هذه الممارسة الاجتماعية إلى الجمهور عن طريق وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية المختلفة بما تشتمل عليه عملية النقل تلك من تصورات وتمثلات اجتماعية سياسية ثقافية وغيرها، مما جعل العديد من الباحثين إلى تصنيف الخطاب الإعلامي من بين الخطابات المتغلغلة في أعماق الحياة الاجتماعية المؤثرة فيها والمتأثرة بها.

ويعد الخطاب الإعلامي مركباً متشابكاً يجمع بين اللساني والإيقوني، تتلاقى فيه العلامات اللغوية وغير اللغوية. وهو نسق تفاعلي تحتل معه القناة البصرية في الإدراك والتواصل مقدمة الاهتمامات، كما يعد الخطاب الإعلامي صناعة ثقافية بأتم معنى الكلمة تتكاثف على إنتاجها وسائط متعددة يظهر ذلك في طبيعة الرسائل التي تتدفق عبر هذا الخطاب وتنوعها وسرعتها وطرائق توزيعها وكيفيات تلقيها الأمر الذي جعل من الإعلام محورا أساسيا في منظومة المجتمع. إنه صناعة تجمع بين اللغة والصورة والمعلومة ومحتواها الثقافي والآليات التقنية لتبليغها عبر الزمان والمكان.

يقول فان ديك في كتابه الخطاب والسلطة أنه من المستغرب الاستنتاج من هذا الكم الهائل من البحوث الإعلامية منذ الحرب العالمية الثانية بأن اهتماما

قليلا قد وجه إلى التحليل المنهجي المنظم لما يبدو أن وسائل الاتصال تعتمد عليه بالمقام الأول أي النصوص (الرسائل، الخطابات ...) فالاتجاهات المهيمنة في البحث الإعلامي تنطلق في الغالب من مختلف النظريات الاجتماعية أو نظريات علم النفس الاجتماعي لتحليل مؤسسات وسائل الاتصال أو تأثيراتها في المتلقين واستجاباتهم او السياسات الاتصالية وتكنولوجيا الاتصال أو العلاقة بين وسائل الاعلام والمجتمع والثقافة عموما. (توين، 2014)

وقد تشظت البحوث الإعلامية في كل الاتجاهات لتصف الجوانب المختلفة بشكل واسع للعملية الاتصالية وفي سياقات مختلفة (بدر، 1974، ص 16)، فضلا عن أن العملية الاتصالية كانت مثار اهتمام العلماء من الحقول المعرفية المجاورة كعلم النفس والاجتماع والاقتصاد والانثروبولوجيا والقانون والعلوم السياسية والذين وظفوا البحوث في مجال الاعلام والاتصال-على اعتبار الاتصال وبحوثه يشكلان أحد أجزاء اهتماماتهم - بما يخدم إشكالياتهم البحثية العامة في إطار البراديغم الوضعي السائد. وهذا ما انعكس على نوع الدراسات الإعلامية والاتصالية والتي بقيت دراسة مضامينها تخضع لتوجهات البراديغم المسيطر ونادرا ما كانت تدرس لذاتها.

1.4 نموذج تحليل الخطاب الإعلامي... مقاربة التحليل النقدي

تنطلق مدرسة التحليل النقدي للخطاب من فكرة أن اللغة جزء من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزاله، وبينه وبين عناصر الحياة الأخرى علاقة منطقية جدلية تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغة دائما بعين الاعتبار (فاركلوف، 2009، ص 19). فدراسة الخطاب الإعلامي يجب أن يكون تحليلا يهتم بتفاصيله البنائية وبعده الاجتماعي، أي بكونه ترتبط بعلاقات بين جماعات معينة ويصدر عن أفراد يتبوؤون مواقع معينة في المجتمع.

وعليه، يهتم التحليل النقدي للخطاب بالاستمرارية والتغيير على هذا المستوى الأكثر تجريدا وبنائية من مستوى النصوص، كما يهتم أيضا بما يحصل في النصوص بعينها بحيث تربط طريقة تحليل النصوص في التحليل النقدي للخطاب بين الاهتمام بالنصوص وبنطاق الخطاب، ولا يعتبر تحليل الخطاب تحليلا لسانيا فقط إنه يتضمن أيضا ما يسميه "نورمان فيركلاو" تحليل التفاعل الخطابي Interdicursive analysis أي معالجة النصوص من منطلق ضروب الخطاب والأصناف والأساليب المختلفة التي تستند إليها وتُمَفْصِلها بعضها مع بعض. (فاركلوف، 2009، ص 21)

في هذا الإطار، ساهمت الألسنية الوظيفية النسقية Systemic Functional linguistics – والتي من أهم روادها مايكل هاليداي Michael Haliday- في الدراسة النقدية للخطاب. وهي تهتم بشكل أساسي بالعلاقة بين اللغة من جهة والعناصر الأخرى في الحياة الاجتماعية وجوانبها ويطغى على مفهومها للتحليل الألسني للنصوص التشديد على الطابع الاجتماعي لها؛ فاهتمام التحليل النقدي للخطاب الإعلامي يتمحور بدرجة كبيرة ليس على نقل الوقائع والأحداث بقدر تركيزه على تأثيره ودوره في تثبيت الإيديولوجيات أو دعمها أو تغييرها. وهذا في إطار علم الاجتماع النقدي باعتباره ذلك التصور الذي يحركه السعي إلى توفير أساس علمي للتساؤل النقدي حول الحياة الاجتماعية من منطلقات أخلاقية وسياسية أي بالنظر إلى العدالة الاجتماعية والسلطة. (فاركلوف، 2009، ص 46)

وعليه، تتمثل مقاربات التحليل النقدي للخطاب الإعلامي في سعيها لبلوغ مستوى بناء التمثلات الاجتماعية بمعناها الواسع في:

1.1.4 التحليل اللساني والاجتماعي اللساني: يتمثل هذا التحليل في دراسة الاستعمال المخصوص للغة مثل اختيار بنيات نحوية وتراكيب أسلوبية بعينها

تعطي للخطاب الاعلامي أهمية كبيرة في نظر الباحثين اللسانيين مع التركيز على إبراز الصلات النسقية بين اللغة والسياق الاجتماعي الثقافي. على سبيل المثال دراسة عناوين الجرائد التي تكون ذات خصائص تركيبية مميزة يمكن ان يعتبرها اللسانيون شاذة نحويا في أحيان كثيرة ولكنها تهدف إلى تحقيق غايات معينة من الخطاب الإعلامي. وكذا الدراسات التي تبحث في الخصائص اللسانية المتغيرة في الخطاب الإعلامي (برامج محددة) والمظاهر المتغيرة للسياق الاجتماعي (اللسانيات الاجتماعية) (Fairclough, 1995, p21)

2.1.4 تحليل المحادثة: تعود أصول هذه المقاربة إلى مجموعة الباحثين من علماء الاجتماع المعروفين باسم الاثنوميثودولوجيين، والاثنوميثودولوجية هي مقاربة تأويلية لعلم الاجتماع تركز على الحياة اليومية باعتبارها إنجازا مهاريا (من المهارة) وعلى الطرق التي يستعملها الناس في إنتاجها. على سبيل المثال دراسة الاستجواب الإعلامي كتلك التي أنجزها باحثون من أمثال هيريتايج Heritage 1985 وغريتباتش greatbatch 1986 و هوتشبي hutchby 1991 (عبيدي، 2016، ص 125)

3.1.4 التحليل السيميائي: يتسع تحليل الشيفرات البصرية بحسب رأي نورمان فيركلاف ليشمل مختلف صيغ التقديم في التلفاز ، مقدم الأخبار مواجها الكاميرا، استعمال الرسوم البيانية والصور وأنواع الأحداث المختلفة أو تغطيتها وكذلك تأطير الصور وحركات الكاميرا وتقطيع المشاهد. (عبيدي، 2016، ص 127) يركز التحليل السيميائي على الإيديولوجيا المضمرة في نصوص الأخبار ويعتبر هذا التركيز محورا نمطيا يمكن ملاحظته في كل بنيات الأخبار.

4.1.4 اللسانيات النقدية والسيميائيات الاجتماعية: تستعين اللسانيات النقدية في تحليل الخطاب الإعلامي بالآراء المتعلقة بالنص أي اعتبار النص إنتاجا متعدد الوظائف، ممثلا للعالم (الوظيفة الفكرية) ومجسدا

للعلاقات الاجتماعية (وظيفة التفاعل بين الأشخاص) ومدركا للنصوص وحدات تبنى من الاختيارات داخل الأنظمة المعجمية والتركيبية المتاحة. كما ينظر إلى الخطاب من هذه المقاربة كحقل من التمشيات اللغوية والتمشيات الإيديولوجية، فالاختيارات الواردة في النصوص يمكن ان يكون لها معنى إيديولوجي. (عبيدي، 2016، ص 129)

خلاصة:

شكل تحليل الخطاب مجالا مشتركا للأبحاث في مجال علوم اللغة واللسانيات وعلوم الاعلام والاتصال بالرغم من التأخر المشهود على تعالقهما حيث شكل تلاقي هاذان المجالان تجاسرا معرفيا وفكريا مثمرا جمع باحثين من خلفيات فكرية وفلسفية مختلفة، وأثرى بشكل كبير البحث والتنظير والتفكير في الخطابات التي تنقلها وسائل الإعلام والاتصال التقليدية ومنها والجديدة. وسواء تعلق الأمر بتحليل الأحاديث أو التحليل النصي أو دراسة ظواهر الإقناع والحجاج والتأثير الاجتماعي من خلال دراسة الخطاب الإعلامي كخطاب لفظي وبصري يعكس الحياة الاجتماعية، فلقد ساهم التحليل النقدي لهذا الشكل المتميز من أشكال التواصل في تفكيك وفهم إسهام الخطاب الإعلامي في التأثير في المتلقي وبناء تصوراته ورسم رؤاه المستقبلية من خلال نقل التمثلات الاجتماعية المختلفة باعتباره خطابا متغلغلا في أعماق الحياة الاجتماعية.

المراجع المعتمدة

- العاقد ,أ .(2002) .تحليل الخطاب الصحفي من اللغة إلى السلطة .الدار البيضاء :دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- العربي ,ر .(2010) .الحد بين النص والخطاب .مجلة علامات.(33)
- القادر ,س .ع .(2015) .تحليل الخطاب :مقدمة للقارئ العربي Récupéré . sur www.diwanalarab.com.
- بدر ,أ .(1974) .الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية .الكويت :دار القلم.
- بركات ,ع .ا .(2012) .مناهج البحث الإعلامي :الأصول النظرية ومهارات التطبيق .القاهرة :دار الكتاب الحديث.
- توين ,ف .د .(2014) .الخطاب والسلطة) .غ .العلي (.Trad ,القاهرة :المركز القومي للترجمة.
- جبارة ,ص .(2012) .الخطاب الغعلامي بين النظرية والتحليل .الأردن :دار أسامة للنشر والتوزيع.
- شمال ,م .ح .(2006) .الصورة والإقناع، دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع .القاهرة :دار الآفاق العربية.
- شومان ,م .(2007) .تحليل الخطاب الغعلامي :أطر نظرية ومناهج تطبيقية .القاهرة :الدار المصريةاللبنانية.
- عبد الرحمان ,ط .(1998) .اللسان والميزان .الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي.
- عبيدي ,م .(2016) .التحليل النقدي للخطاب، نماذج من الخطاب الإعلامي .عمان :كنوز المعرفة .

- فاركلوف ,ن .(2009) .تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي) .ط .وهبة (.Trad ,بيروت :المنظمة العربية للترجمة.

- فاوبار ,م ,2006) .جويلية .(جدل الصورة والخطاب) .ق .ا .الإعلام (.Éd , مجلة البحرين الثقافية.(45)

- ماكدونيل ,د .(2001) .مقدمة في نظرية الخطاب .éd)ط (.(1ع .ا . اسماعيل (.Trad ,القاهرة :المكتبة الأكاديمية.

- مشاقبة ,ب .ع .(2014) .مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب .الأردن : دار أسامة للنشر والتوزيع.

- مصدق ,ح .(2005) .يورغن هابرماس ومدرية فرانكفورت، النظرية التقدية التواصلية .المغرب :المركز الثقافي العربي.

- Fairclough, N. (1995). Media discourse.

- Maingueneau, D. (1987). Les nouvelles tendances en analyse du discours. Paris: Hachette.

- Maingueneau, D. (2014). Discours et analyse de discours. Paris: Armand Colin.

- Mauricia-Celce, M. (2002). Why it make sens to teach grammar in context and through discourse. New Jersey: Lawrence Erlbaum.